واقع الاذاعة العربية

بقلم الدكتور شكري فيصل

كلنا استمع في الشهر الماضي الى أنباء المؤتمر الاذاعي الذي انعقد في القاهرة حيث اجتمع هؤلاء واولئك من المشرفين على الاذاعة في العالم العربي فتداولوا فيما بينهم الرأي ، وادارو القول، ووضعوا المشاريع لينتهوا منها ، لا اقول الى القرارات بل الى التوصيات .

ودع عنك ان ليس لهذه التوصيات إلا القوة الادبية .. والقوة الادبية آخر ما يعتد بـــه في العالم العربي .. ثم تعالوا نتساءل ما الذي يجب لهذه الاذاعات العربية قبل كل شيء وما الذي يمكن ان تقوم به ؟.. هل أدت دورها الذي ينتظر منها أم هي لا تزال بعيدة عنه.. وهل كان لها في حياة هؤلاء الناس الذين تتجه اليهم الأثر الطيب القوي ؟ أنهضت بهم ام نزلت اليهم وهل اغنت وجودهم ام زادت هـــذا الوجود لوناً آخر من الالوان المعتمة ؟.. أأفلحت في تربية ذوقهم الفني وفي تنمية حياتهم الفكرية وفي تزويدهم بالحقائق كل يوم تبصّرهم وترشدهم ام افلست في ذلك كله ؟.

لقد تحدثوا، في لجان المؤتمر الاذاعي ، عن الدعاية الخارجية وتنظيمها بـــين الاذاعات واختصاص اذاعة كل بلد بجيز من الارض تتجه اليه وتنشر دعوتها فيه .. والعالم العربي مسكين، لأنه تتملكه في كل بضع سنين فكرة من الافكار الثابتة تسيطر عليه وتملك كل شؤونه فلا يتحدث المتحـــدثون ولا يكتب الكاتبون ولا يأتمر المؤتمرون إلا فيها .. كأن هذه الاشياء تلقى اليه في مواعيد ولأغراض .. فيتلهى بها حيناً ثم يدعها إلى غيرها ؛ ثم لا يلبث بعد ذلك ان يعود اليها ..

وفكرة الدعاية الخارجية للعـالم العربي من هذا القبيل .. انها المشكلة التي ملكت العرب حينـــاً من زمن ففتحوا لها المكاتب في هـذه العاصمة وتلك ، ووفّدوا الوفود ، واشتروا مساحات من الصحف.. ثم عادت عليهم هذه الصحف بالصفقة.. وانتهى الامر بعدُ الى ان اغلقت المكاتب ورجعت الوفـود وطويت الصحف، وارتد الرجل المفكر الكبير في هذه المكاتب الى قطعة من أرض الوطن يعمل فيها بجد وصبر ينمّي هـــذه النبتات الناشئة من الناس كما ينمي النبتات الناشئة من الشجر .

وفي هـذه الايام تعود هذه المشكلة مرة ثانية الى الظهور ، فنسمع عن الدعاة للعـالم العربي ويكون ذلك مما يبحثه مجلس الجامعة ومما يعنى به المؤتمر الاذاعي ومما يكتب الكاتبون ايضاً ويتحدث المتحدثون .

ولكن اولئك وهـؤلاء ينسون شيئاً هو قبل كل شيء .. ينسون ان امراً ما لا يمكن ان يبدأ به مقلوباً ثم ينتهي الى نتيجة مرضية ، وان الاوضاع لا تعالج من الظاهر هذه المعالجة الزخرفية الملونة التي تنعقد فيها الخطوط والالوان في افتراق وتلاق عجيب .. ان الامر اهون من ذلك وابسط .. فما دمنا ننوي ان نعالج شأناً من شؤوننا فيجب ان نعالجه من جذوره الاصيلة ثم نمضي مع هذه الجذور بعد ذلك حتى ننتهي الى اطراف هذه الاغصان المتدلية .. اما غير هذا الطريق فهو لون من التسلية والسياحة التي ينعم بها المؤتمرون ولا تفيـد الامـور في شيء قليل او كثير .

فما الذي ينفع العالم العربي ان ندعو له ، ان نسخّر له كل الامواج والاطوال اذا كان هنالك شيء واحد لا يفقهه اولئك الذين تتحدث اليهم .. هو صلاح حالك الداخلي وقوتك الخارجية .. ما الذي تقول لهـــذه الشعوب التي تنعم بالمساواة ، وتستظل بالعدالة ، وتحيا على المعرفة ، وتمضي مع العلم ، وتؤمن ببعض المثل.. اذا كنا في وطننا ابعد ما نكون عن المساواة والعدالة، واذا كنا لا نزال نرتـع في الامية ، واذا كنا لم تلتمع امام اعيننا المثل العليا بعد ان وأدنا القديم وافتقدنا الجديد ؟؟

★

لست انكر ان تعالج امور الاذاعات الخارجية .. ولكني احب قبل كل شيء ان اعالج امور الاذاعات الداخلية .. ان اصلح هذه الحياة الداخلية الـــتي اعرض على الناس صوراً من صورها وانماطاً من انماطها .. يجب ان « اكون » اولاً لأدافع عن هـذا « الكون » وادعو له وابشّر به .. والعالم العربي لم « يتكون » بعد في اذهان القائمين عليه ، لأن كتلته الكبرى ، جمهرته هذه التي تحيا في اطراف المدن والقرى والمزارع والمصانع ، والمدارس والجامعات ، إنما تحيا همومها الخاصة ومشاغلها اليومية

وخبزها الموقوت و«اعطياتها» الشهرية الضيقة.. ولانها بذلك محجوبة عن كيانها الاصيل الذي لا يزال سليما في عالمها الداخلي، ينبض كل لحظة .. ثم يكبت نبضه جهل الطبيب او سم الدواء .

فلنعالج الاذاعة إذن من حيث هي اداة تعمل فينـــا .. تترك اثرها في كل فرد منا .. في هذه الطفلة المستلقية في المهد ، وهذا الطفل الخابط في الطريق .. في هذا الفتى العابث في الحيّ وهذه الفتاة السادرة في الحلم .. إن هؤلاء هم الذين يستمعون الى الاذاعة وهم الذين ينساقون بها حتما .. فلنعرف كيف نتجه اليهم قبل ان نتجه الى غيرهم .. ويجب ان نفهم نحنّ الاذاعـة قبل ان نسعى الى ان يفهمنا غيرنا عن سبيلها .

لقد فهمنا الاذاعـــة ضمن مفهومين اثنين خاطئين : اولهما الدعاية ، والثاني الترفيه .. وعن هذين المفهومين اشتقت اخطاء كثيرة متتالية .. فهمنا الدعاية على انها هذه المحاولات في التأثير، وهذا السعي وراء الاقناع ، وهذا الالحاح المتصل المستمر على فكرة ما ، دون ان يكون وراء ذلك حقيقة نيّرة مشرفة .. ثم فهمنا الترفيه على انه هذه الالوان الحائلة من الغناء ، وهذه الانماط الخنثى من الموسيقى ، وهـــذه الكائنات المسيخة من التمثيل .. ثم مضينا تزداد بنـــا العلة كما يزداد انفراج الخطين المتباعدين صدرا عن نقطة واحـــدة ، فاذا نحن نخلط الدعاية بالترفيه خلطاً عجيباً ونستخدم احدهما في سبيل الآخر ونسخره له تسخيراً حاداً .. واذا نحن نخضع لهذين المفهومين خضوعـاً ذليلاً .. واذا هما يتمكنان من عقولنا وقلوبنا ويلحان علينا الحاحاً عنيفاً متصلا لا ينقطع ساعة من نهار ولا ساعة من ليل حتى حجبا عنا الحقيقة الكبرى التي تكمن وراء الاذاعـــة .. الحقيقة التي تجعل هذه الاداة الطيعة القريبة ادنى الادوات الى نشر الثقافة وعرض الحقيقة والتبصير بالحياة واللفت الى المجهول .. واحالاها اداة تجلجل فيها الغرائز باكثر مما تترقرق فيها العواطف، وتثور فيها العواطف باكثر مما تعيش الحقائق ، وتعيش الحقائق متواضعة في زاوية او ركن او حديث عابر .. كأنما هو تزويق او تنميق .. او كأنما هو الشارة الفخمة التي يضعها المصنع على الانتاج الرخيص .

★

هذه الاسطر توجز واقع الاذاعة العربية ، ويبدو واضحاً ان هذه الاذاعة اهملت الغاية وجحدت الوسيلة .. نسيت الهدف وعلقت بالاداة .. وعلى حين يكون الترفيه في الاذاعات وسيلة ليس الا للأفضل والاكمل ينسى الافضل والأكمل في غمار الترفيه الذي يملك على الاذاعة العربية كل شؤونها ، فتتنافس فيـه .. واستعرض ان شئت هذه او تلك من نسخ البرامج لترى ما الذي يسيطر عليها وما الذي يملأ كل لحظاتها .. واستمع اسبوعاً او يوماً او ساعة ، ولن تطيق ، وتعال قل لي ما الأثر الذي خلفته في نفسك ، وما الغنى الذي أفدته ؟

الاذاعة اليوم هي اقوى الوسائل تأثيراً في الشعوب .. في وسع الذين يستخدمونها ان يجعلوا منها ما شاءوا .. في وسعهم ان يجعلوا منها صندوق اغان او قصة غرام او مدرسة شعب .. ولكنهم يجب ان لا ينسوا انها ترن في كل اذن من اقصى الوطن الى اقصاه في اكثر ساعات النهار او الليل .. ولهـــذا فان عليهم ان يخرجوا بالاذاعة اولاً عن هذه المفاهيم الخاطئة التي تعيش فيها في اذهان المسؤولين والمستمعين .. ان يبتعدوا بها عن هذا التطابق بينها وبين المتعة وبينها وبين الدعاية .. ان يؤمنوا انها هذه الأداة التي تفتق عنها الذهن البشري لتكون لخير الانسان وكرامته .. وانها ليست للون معين من الوان الحياة ، ولكنها للحياة الفكرية والفنية على السواء .. وانها لهذا الشعب الذي يتأثر بهـــا كل ساعة قبل ان تكون لهؤلاء الأفراد الذين قد يستمعون اليها ذات ساعة فيتأثرون او لا يتأثرون !

« دمشق » **شكري فيصل**

المعهد العالي

داخـــلي — وخـارجي

روضة اطفال ـ ابتدائي ـ ثانوي

برج ابي حيدر — بجانب المسجد — بيروت ، لبنان

- يقبل الطلاب من لبنان ومختلف الاقطار العربية
- يطبق برامج الجامعة الاميركية في بيروت
- اساتذة اخصائيون — مربيات لروضة الاطفال
- التسجيل في ١٦ ايلول والتدريس في ١٠ ت ١

المخابرة : صندوق البريد ١٠٨٥

ترسل البيانات الى من يطلبها مجاناً